السعر للمستهلك
ق ل س

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܓܙܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܬܐܠ ܩܕܡ ܕܝ̈ܢܐ
ܘܕܚܠܬܐ ܡܢ ܟܝܢ ܐܠܗܐ ܘܗܕܐ ܕܓܢܒ ܗܝܟܠ ܐܘ
ܢܗܘܐ ܠܗ ܚܪܡܐ ܘܠܐ ܢܫܟܚ ܢܗܘܐ ܠܗ ܚܪܡܐ ܥܕܡܐ
ܕܢܬܗܦܟ ܟܬܒܐ ܕܢܦܩ ܠܗ ܠܕܘܟܬܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

# مزارع الجزيرة

## مقالة ألفها مار اغناطيوس افرام الاول برصوم بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس

---

الجزيرة منازل بني ربيعة وبني تغلب في الزمان القديم ، هي في وقتنا هذا احدى محافظات حكومة الجمهورية السورية .

مدنها وبلدانها : الحسكة والقامشلي وعاموده ورأس العين والدرباسية وديريك وقبور البيض ، ولها قرى ومزارع شتى ، انتشر فيها العمران وتميّزت بزارعها لطيب تربتها وخصبها واجتهاد أهاليها ، فذاع لها في سورية صيت حسن .

وقد رأينا أن نرجع الى تاريخها القديم ابّان عزّها ونكباتها : فنكتب فيها مقالاً نرجو أن ينفع رجال الحكومة وأهلها فضلاً عن الادباء الباحثين عما يزيدها من الوجهة الزراعية عمراناً .

حكى الراهب الزوقنيني المؤرخ الذي عُرف سنة ٧٧٥ م في صفحة ١٥٤ من المجلد الثاني من تاريخه السرياني الذي نُشر في مجلّدين بباريس عام ١٩٢٧ ـ ١٩٣٣ وكان شاهد عيان لمعظم الاحداث التي أرّخها قال : « سنة ألف وثلاث ( يونانية الموافقة لسنة ٦٩٢ ميلادية ) عمل عبد الملك ( ابن مروان ) تعديلاً على السريان ، وأصدر أمراً شديداً يقضي

أن يتوجّه كل أحد الى بلدته وقريته وبيت أبيه ، ويكتب كل واحد اسمه وابن من هو وكرمه وزيتونه وماشيته وأولاده وكل ماله ـ ومن هنا بدأ أخذ جزية الرأس ، ومن ثم طفقت جميع البلايا تنزل بالشعب السرياني . وكان الملوك حتى هذا الزمان يتقاضون ضريبة الارض وجزية الرجال ... وهذا أول تعديل عمله المسامون »

وذكر المؤرخ السرياني الرهاوي المجهول الذي توفي بعد سنة ١٢٣٧م وألّف بالسريانية تاريخاً جليلاً دينياً ومدنياً حافلاً بالفوائد ، نشر بالطبع في باريس سنة ١٩٢٠ في المجلد الاول ص ٢٩٩ ان الوليد الاول الخليفة الأموي سنة ٨٩ هجرية الموافقة لسنة ٧٠٧ و ٧٠٨ ميلادية :

ولّى أخاه مسلمة على ما بين النهرين والجزيرة كلها ، وأرسل من يمسح الاراضي ويحصي الكروم والاغراس والمواشي والناس وعلّق ( العمال الظامة ) اختام رصاص في أعناق الناس !! وفي تاريخ الراهب القرتميني الذي عاش في أوائل المئة التاسعة ونشرناه في باريس سنة ١٩٢٠ في صفحة ١٥ أن مسلمة ولّي سنة ٧١٠ وفي العام القابل مسح أراضي الجزيرة وكرومها الخ .

وقال في صفحة ٣٠٩ « أنه سنة ٧٢٣ م وُلّي الضحّاك ما بين النهرين وكتب الناس ومسح الارض وعدّ الاغراس وعملوا تفتيشاً لم يسبق له مثيل »

وكذلك روى الراهب القرتميني ص ١٦ : انه سنة ٧٢٢ بعث الضحاك أمير الجزيرة كتّاباً الى ولايته كلها ، وكتب الناس الصغار والكبار حتى

الطفل المولود في ذلك اليوم، ومسحوا الارض وأحصوا الاغراس وعملوا تفتيشاً لم يسبق له مثيل .

وقال الراهب الزوقنيني مج ٢ ص ٢٦٠ ـ ٢٦٥

« بما اننا نريد أن نبين ما قاست الارض من الكوارث فلنذكر خصبها لكي نعرّف الى أي حدّ دمّرت البلاد الغنية الزاهرة .

كانت الارض في هذا الزمان خصبة وخصوصاً الجزيرة والبلاد الشمالية كلها ، وكانت محفوفة بالكروم والزروع والماشية واقتنى الناس غلالاً كثيرة ؛ فكان الخمر الجديد يسكب على الخمر العتيق وكذلك القمح ، فبطر الاهالي المسيحيون وطمحوا الى مال الكنائس وارتكبوا الموبقات وشهادات الزور ، وصار أهل القرى يتخاصمون على حدود الحقول ... وكان ذلك في ولاية العباس أخي أبي جعفر المنصور »

وقال أيضاً :

« في هذه السنة هرب الملك ( أبو جعفر ) وأكابر دولته وقدم الى البلاد الشمالية بجيوش عديدة ، ووصل الى مدينة الموصل فشكا اليه أكابرها وأصاغرها مظالم عاملها موسى بن مصعب فأبعدهم من امامه لرضاه بالخراب دون العمران وسرّه عمل موسى ، ولما عزم على القدوم الى الجزيرة وعلم أخوه العباس بذلك وكان عارفاً بظلمه ، وكانت الجزيرة حافلة بالكروم والمزارع والسكان في عهده : وبما أنه كان رجلاً شفيقاً على الرعية يريد العمران ، أسرع باخبار البلاد ليهربوا أمامه ويدعوا القرى خالية من

أهلها ـ غير أن الاهلين لم يدركوا هذا الهدف فمكثوا في مواطنهم، فلما وافى اليها وشاهد ما هي عليه من الخصب والخيور وكان ذلك في شهر أيار، تنمّر لأخيه فلما أقبل للقائه بحفلة أبعده من أمامه واطّرحه ولم يأذن له بمقابلته قائلاً: أين ما قلت لي ان الجزيرة خربة، وعزله وصادر أمواله وأساء اليه » (١)

« ولما شاهد أبو جعفر خصب الارض بالسكان أراد أن يعمل تعديلاً طمعاً بالجزية ـ فندب لهذا العمل أخبث العمال رجلاً مجوسياً فكتب الاسواق والحوانيت فحدث عن الظلم ولا حرج . وظلموا التجار المسافرين . فاذا وقع أحدهم بين ايدي العمال نهبوه، ومن كان له خمسين جريباً كتبوه ألفاً وكانوا يختمون الناس برقابهم كالعبيد فهرب الناس . وأقاموا عمالاً للجوالي وعمّ الظلم وكانوا ينكّلون بالناس ونهبوا أموال الخلق . وعمّ الظلم المسلمين والسريانيين وكان ولاتهم شركاء الظالمين . فاضطر الناس الى نبش القبور وتفتيشها وغربلة ترابها عسى أن يجدوا فيها نقداً قديماً من ذهب أو فضة لوفاء الجزية . وحبسوا النصارى وعيالهم في البيَع »

وقال في ص ٢٨٩

وعاد أبو جعفر من بيت المقدس وقبض على أخيه العباس وصادره

(١) سنة ١٤٢ هـ (٧٥٩ م) ولى ابو جعفر المنصور أخاه العباس بن محمد الجزيرة والثغور . وسنة ١٥٥ هـ (٧٧١ م) عزله عن الجزيرة وغرّمه مالاً وغضب عليه وحبسه (تاريخ الطبري مج ٩ ص ١٧٩ و ٢٨٦) .

وأقام مكانه موسى بن مصعب .

وحكى الراهب القرتميني ص ١٨ قال :

« وفاق عبد الله (أبو جعفر المنصور) جميع الملوك الذين سبقوه بغرائب أعمال العنت والمكر وأكثر من الجزى والضرائب حتى نفد المال من بلاده كلها » .

وروى أيضاً ص ٢٠ قال :

« في تلك السنة ٧٦٧ صار موسى بن مصعب اليهودي أميراً على الجزيرة والموصل وكان ظالماً شديداً مبغضاً للنصارى : وتفنّن بأنواع الشدائد مما لم يصر منذ صدر العالم وعلّق أختام رصاص في أعناق الناس جميعاً — وعقد أباهم أيديهم وطلب الجزية من الحيطان والأبواب والكوى حتى حفر الناس القبور القديمة وأخرجوا منها ذهباً وفضة لأداء الضريبة » .

وقال البطريرك مار ميخائيل الكبير الذي توفي سنة ١١٩٩ م في تاريخه السرياني الذي طبع في باريس سنة ١٨٩٩ـ١٩١٠ مج ٢ ص ٤٧٦ـ٤٧٧

« ان أبا جعفر قبل وفاته بثلاث سنوات أكثر الضرائب فتضايق الناس واضطروا الى حفر القبور ليجدوا دراهم ، وعقب ذلك قحط وغلاء وعدمت النقود ومات أبو جعفر المصاب بمحبة الفضة وهي ينبوع الشرور » .

وقال المطران اغابيوس الرومي المنبجي الذي عاش في المئة العاشرة في كتاب تاريخه العربي الموسوم بالعنوان المطبوع في بيروت سنة ١٩٠٧ في صفحة ٣٨٠

« وضرب المنصور الضرائب على الناس وما بقي ولا صنف من صنوف الناس حتى ألزمهم الخراج ، وأخذ أموالهم واشتد بالناس البلاء وبلغ الجهد حتى أن بعضهم حفر القبور ... وفنيت الدراهم من أيدي الناس ولحقهم من البلاء ما لا يوصف ... فبينا هم في هذا الجهد اذ توفي المنصور بعد أن ملك احدى وعشرين سنة وثلثة أشهر ونصفاً » .

فمن هنا ترى أي خصب كان يشمل بلاد الجزيرة التي كانت مزدهرة بالمزارع والكروم والبساتين : ودونك دليلاً على وجود الزيتون ومعاصر الزيت في بلدة ماكسين من شهادة الاخطل الشاعر التغلبي المشهور قال :

« ما دام في ماكسين الزيت يُعتصرُ » (معجم البلدان مج٧ص٣٦٧)

ودليلاً آخر من قول الفارعة أخت الوليد بن طريف الشاري الذي خرج بالجزيرة سنة ١٧٨ وقتل سنة ١٧٩ هـ ( ٧٩٤ ـ ٧٩٥ م )

أيا شجر الخابور ما لك مورقاً    كأنك لم تجزع على ابن طريف(١)

وطالعنا مصنفات ستة جغرافيين من العرب ألمّوا بذكر الجزيرة وبلادها وهم :

١ ـ أبو القاسم ابن خرداذبه الذي ألّف كتاب المسالك والممالك بين سنة ٢٣٤ هجرية الموافقة لسنة ٨٤٤ ـ ٨٤٨ ميلادية وكتابه طبع في ليدن سنة ١٣٠٦ و ١٨٨٩ م ـ

٢ ـ وأبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف

---

(١) تاريخ الطبري مج ١٠ ص ٦٢ ـ ٦٥

بالكرخي الذي سافر من اصطخر سنة ٣٠٣ هـ و ٩١٥ م وألّف كتاب المسالك والممالك وقد طبع في ليدن سنة ١٨٧٠ و ١٩٢٧

٣ ـ وأبو علي أحمد بن عمر بن رستة الذي توفي قبل سنة ٣٦٠ هـ الموافقة لسنة ٩٧٠ م وصنّف كتاب « الأعلاق النفيسة » ونشر بالطبع في ليدن سنة ١٨٩١

٤ ـ وأبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الذى تجول في البلاد سنة ٣٣١ هـ (٩٤٣ـ٩٧٠) وتوفي عام ٩٩٠ م ووضع كتاب المسالك والممالك وطبع في ليدن سنة ١٨٧٢

٥ ـ وشمس الدين ابو عبد الله محمد المقدسي البشاري الذي كان في سنة ٣٧٥ هـ و ٩٨٥ م وصنف كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم» وطبع في ليدن سنة ١٨٧٧

٦ ـ وياقوت بن عبد الله الرومي الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ و ١٢٢٨ م صاحب كتاب معجم البلدان طبع بمصر في ثماني مجلدات سنة ١٩٠٦

١ ـ قال ابن خرداذبه ص ٨٤ من كتابه « ومن كور الخابور : الصُّوَر ( بتشديد الصاد وضمها وفتح الكاف ) والفُدَين وماكسين ( بكسر الكاف والسين والشمسانية والسُّكَيْر ( بتشديد السين وضمها وفتح الكاف ) وعرابان وطابان وتنينير العليا ( بضم التآء ) وتنينير السفلى وسماغا فهذه المدن على الخابور »

وقال ص ١٧٥

« ومخرج الخابور من رأس العين ويستمد من الهِرماس ويصب في الفرات بقرقيسيا ومخرج الهرماس من طورعبدين ويصب في الخابور ».

٢ ـ وقال الاصطخري ص ٧٤

« ورأس عين على مستوى أرضها الغالب عليها القطن ويخرج منها زيادة على ثلاثمائة عين كلها صافية تحكي ما تحتها على قامات فتجتمع مياهها حتى يصير منها نهر الخابور الذي يقع الى قرقيسيا ـ ومسافة هذا النهر نحو عشرين فرسخاً قرى ومزارع ورأس عين مدينة اكبر من كفرتوثا ».

ولهم زروع وأشجار مستقاة عن البنيان على سنن هذه المياه وهي خصبة كثيرة المباخس .

حاشية : فمن مشاهير تلك القرى المَجدل ( بفتح الميم وكسرها ) وهي تحت رأس العين بمرحلة كلها ضياع متصلة على جانبي الخابور : ويتلوها عرابان وبينها وبين المجدل مرحلة وهي مدينة صغيرة كثيرة العلل والوباء، وهي أيضاً على شاطيء الخابور .

وبين المجدل وعرابان أيضاً عمارات متصلة وضياع على جانبي الخابور، فمن مشاهيرها طابان والمطرية والسحيمية وتنينير ـ ويرتفع من هذه القرى قطن كثير . وعرابان فرضة لأهل خلاط والموصل ، يجلب منها القطن الى سائر تلك النواحي .

ويتلو عرابان على هذا النهر ماكسين ، وهي مدينة صغيرة نحو من عرابان إلا أنها خصبة كثيرة الخيرات ولها جسر على الخابور : ومنها ومن عرابان والمجدل يرتفع القطن الذي يحمل الى خلاط والموصل .

وبينها وبين عرابان مسيرة يوم لا عمارة فيه إلا قرية يقال لها الشُكَير ( سكير العباس ) ( بضم السين ) في نحو من نصف الطريق .

وبين ماكسين وبين سنجار ثلاثة أيام في مفازة قفرآء ليس فيها عمارة إلا الجبال من ضياع سنجار وهذه البرية هي برية سنجار . ونها اتصال بالفرات وبرية البادية .

٣ ـ وقال بن رسته ص ٩٠

ويخرج وادي الخابور من عيون رأس العين ، ويستمد من الهرماس وهو نهر ينصب في الفرات دون قرقيسيا .

وفي ص ٩٤

ويقع في الفرات في أرض الجزيرة نهر الخابور ويخرج من أعلى بلاد الجزيرة في موضع يسمى رأس العين ، فيجري وسط بلاد الجزيرة فيصب في نهر الفرات في صقع يسمى قرقيسيا .

٤ ـ وقال ابن حوقل ص ١٥٠

ونهر الخابور عليه مدائن كثيرة قد سلكتها ووصفتها ، كمدينة عرابان وهي مدينة لطيفة كثيرة الاقطان ، وثياب القطن تحمل منها الى الشام وغيرها ، وعليها سور منيع ومن ورائه منعة من الرجال ، وسكير

العباس وهي أيضاً مدينة لطيفة فيها غلات وبها رجال .

وكذلك طابان ( الحشيشية حسنية ) والجحشية وتنينير والعبيدية مدن تتقارب أوصافها وفيها ما له اقليم كبير ورستاق واسع وعمل صالح ودخل وأشجار وكروم وسفرجل موصوف .

وفي ص ٥٥١

قرقيسيا مدينة على الخابور ويجلب من فواكهها وفواكه الخابور الى الرقة في الشتاء الكثير وان كان الاختلال قد شابها وبينها وبين الخاوقة يومان – وقال ياقوت « جحشية كأنها منسوبة الى رجل اسمه جحش ، قرية كبيرة كالمدينة من قرى الخابور بينها وبين المجدل أربعة أميال » ( مج ٣ ص ٦٢ )

٥ – وقال البشاري ص ١٤٠

رأس العين في سهلة أسفلها متخرق بالمآء يتفجر عيوناً ولهم بحيرة صغيرة رأس المآء نحو من قامتين زلال : بنيانهم حجارة وجص ولهم بساتين ومزارع ؛ ويقع لها ٣٦٠ عيناً عذبة تمد الى الرقة .

ص ١٤١

الرقة قصبة ديار مضر على الفرات بحصن عريض يسير على متنه فارسان ، غير كبيرة ولها بابان غير أنها طيبة نزهة كثيرة القرى والبساتين والخيرات ومعدن الصابون الجيد والزيتون .

ص ١٤٢

وأما ناحية الخابور فقصبتها عرابان وهي تل رفيع حولها البساتين ، والاسعار بها رخيصة ولهم مزارع كثيرة .

ودونك ما قاله ياقوت الحموي في هذه البلاد والقرى :

الصُّوَّر : قرية على شاطيء الخابور بينها وبين الفُدَين نحو من أربعة فراسخ ، كان بها وقعة للخوارج . خفف الاخطل واوها في قوله :

«رأسه دونه اليحموم والصُّوَرُ»

شعر الاخطل ١ : ١٠٦ واليحموم والصُّوَر موضعان) معجم البلدان مج ٧ : ٣٩٨

الفُدَين : تصغير الفَدَن وهو القصر المشيَّد : قرية على شاطيء الخابور بين ماكِسين وقرقيسيا ، كانت بها وقعة ( مج ٦ : ٣٤٥ )

ماكِسين : من أهل العلم فيها أبو عبد الله سليمان الماكسيني المتوفى ببابل سنة ٥٤٧ هـ

شمسانية : بليدة بالخابور ( مج ٥ : ٢٩٣ )

سُكير العباس : هي بلدة صغيرة بالخابور فيها منبر وسوق (مج ٥ : ٩٩)

عَرَبان : بليدة بالخابور من أرض الجزيرة ، ينسب اليها سالم أبو الغنائم المقرئ الفقيه مات ببغداد سنة ٤٠٦ ( مج ٦ : ١٣٧ )

طابان : قرية بالخابور ( مج ٦ : ٢ )

تنينير : اسم لبلدتين من نواحي الخابور تُنينير العليا وتُنينير السفلى

وهما على نهر الخابور ، رأيت العليا غير مرّة ( مج ٢ : ٤٢٣ )
أما سماغا وغيرها فلم يذكرها .

وقال ابن حوقل بنوع اجمالي في الجزيرة ، وكان المقصود بها عصرئذ ، الموصل ومدنها ونصيبين ودارا وكفرتوثا ورأس العين وجزيرة ابن عمر والرقة وحرّان والرها وسروج وديار بكر وحصن كيفا والرحبة وقرقيسيا ومدن الخابور . في صفحة ١٣٨-١٤١ :

« والجزيرة اقليم جليل بنفسه شريف بسكانه وأهله . ورفهه بخصبه . والدخل لسطانه تغيّر بتغيّر الجزيرة واختلّ بهلاك رجالها وأربابها وتنصّر أبطالها - وسمعت رئيساً من علماء البغداديين يذكرها فقال : هي معدن الابطال وعنصر الرجال ، وينبوع الخيل والعدّة ، وبيوت الخيل والشدة . وأما حدودها . . . ومن الرقة الى قرقيسيا أربعة أيام . ومدينة الخانوقة في وسط الطريق . ومن الخانوقة الى عربان أربع مراحل ومن عربان الى الجبال ( جبال سنجار ) مرحلتان ، ومن عربان الى ماكسين مرحلة ، ومن ماكسين الى المنخرق يوم ، والمنخرق بحيرة بين ماكسين والفرات استدارتها مساحة جريب أو أزيد بقليل ، وفيها ماء أزرق عذب كالزلال لا يُعرف قعرها ولا تعلم كيفيتها -

وعلى ظهر الخابور بنواحي عربان بالبعد من الخابور عن مرحلة مدن كثيرة قد غلبت عليها البادية . فحكمهم دون أهلها فيها أمضى ، وأمرهم في غلاتهم وأموالهم أنفذ وأعلى ، كالعبيدية والجحشية . وهذه مدن عليها

أسوار كثيرة لا تحصى ، وقد لجأ الى الخفائر والاذمّة(١) أهلها ، وكل من ساقوه تبعوه وكل من خافوه أطاعوه . فاذا ملك الفرات سلطان قادر أمنوا ، واذا ضعف السلطان بنواحيهم هلكوا وغُنموا(٢) .

وكان من أجلّ بقاع الجزيرة وأحسن مدنها وأكثرها فواكه ومياهاً ومنتزهات ، وخضرة ونضرة الى سعة غلات من القمح والشعير ، نصيبين ؛ وهي مدينة كبيرة في مستواة من الارض . ويخرج ماؤها على شعب جبل يعرف ببالوسا . وهو أنزه مكان بها حتى ينبسط في بساتينهم ومزارعها ، ويدخل الى كثير من دورها (ويخدق البُرك في قصورها(٣)) وكان لهم مع ذلك في ما تقدَّم من بعد عن المدينة ضياع مباخس(٤) كثيرة جليلة ، عظيمة السائمة(٥) دارّة الغلات والنتاج ، معروفة الفرسان مشهورة الشجعان ، الى ديارات النصارى وبيَع وقلايات ، ولم تزل على ما ذكرته من أول الاسلام ، معروفة بكثرة الأثمار ورخص الاسعار ، تضمَّن بمائة ألف دينار الى سنة ٣٦٠ هـ (٩٧٠م) فأكبّ عليها بنو حمدان بصنوف الجور وتجديد الكُلَف بصروف الظلم والعدوان ، ودقائق الجور والغُشم وتجديد رسوم ما عرفوها ، وكُلَف ونوائب ما عهدوها ، الى المطالبة ببيع الضياع والمسقّف من العَقار .

الى أن حمل ذلك بني حبيب وهم بنو عم بني حمدان . الى أن خرجوا

(١) جمع ذمام (٢) أخذ منهم فيئهم (٣) في الهامش
(٤) البخس من الزرع : ما يزرع بماء السماء
(٥) الابل الراعية التي لا تعلف في العطن .

بذراريهم ومواشيهم وثقلهم في أثني عشر ألف فارس وعبيدهم ومواشيهم وخفهم(١) الذي يمكن بمثله النقلة . ومن ساعدهم من جيرانهم وشاركهم في ما قصدوا به الغضب لعقارهم في نحو خمسة آلاف ، على فرس عتيق وسلاح شاكٍ من درع وجوشن(٢) مذهّب ومغفر(٣) مدبّج وسيف فارد ( صقيل ) ورمح خطّي وآلة وعدّة — ثم نزل على بلد الروم مطلّة فقمع بهم شوكتهم ويسبون بها ذراريهم ويخربون حصونهم ويخوضون بلادهم . يقدمهم كبنده العدّة لهم من جنائب(٤) عتاق وبغال فُرّه عليها الخدم والموالي .

فتنصروا بأجمعهم وأوثقوا ملك الروم من أنفسهم ، بعد أن أحسن لهم النظر في انزالهم على كرائم الضياع ونفائس الحباء والمتاع ، وتخييرهم في القرى والمواشي ، ورفدهم بالنواحي والحواشي والأموال . وعادوا الى بلاد الاسلام على بصيرة بمضارّه وعلم بأسباب فساده ، وخبرة بطرقه ومعرفة بدقّه وجلّه(٥) وقلوبهم تضطرم حقداً وتفور كيداً . وقد كاتبوا من خلّفوه ولاطفوا من عرفوه بقصد آل حمدان له في ماله وضياعه . فأطمعوهم في ما نالوه وعرّفوهم ما رجعوا اليه ، وجاءوا فيه من قصد بلد الاسلام واجتياحه ، واصطلام بقاعه ونواحيه ، وان الملك أيّدهم وقوّاهم وأنعم عليهم وآواهم . فلحق بهم كثير ممن تخلف عنهم ، وانتمى

---

(١) الخف بكسر الخاء : الجماعة القليلة (٢) الدرع والجوشن واحد
(٣) المغفر زرد ينسج من الدرع يلبس تحت القلنسوة
(٤) الجنائب الدواب تقاد (٥) قليله و كثيره .

اليهم من لم يكن منهم . فشنوا الغارات على بلد الاسلام ، وافتتحوا حصن منصور وحصن زياد وصاروا الى كفرتوثا ودارا ، فأتوا عليها بالسبي والقتل وألحقوا أسوارها بالارض ، وصارت لهم عادة وديدناً ، يخرجون كل سنة عند أوان الحصاد ، الى أن أتوا على ربض نصيبين بنفسها والغربي من ضياعها ، وتعدوا ذلك الى أن وصلوا الى جزيرة ابن عمر فأهلكوا ظاهرها . وسحقوا رأس العين وأعمالها وساروا الى الرقة وبالس ، وعادوا الى ميافرقين وأرزن . فأخربوا قراها وضياعها وأحرقوا أشجارها وزروعها ، الى أن جعلوها كالخاوية على عروشها(١) ....

وعمد المعروف كان بناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان ، الى نصيبين فاكتسح أشجارها وبذل ثمارها وغوّر أنهارها ، واستصفاها عمن دخل الى بلد الروم ، واشترى من بعض قوم واغتصب آخرين فملكها إلاّ القليل ، وجعل مكان الفواكه ، الغلات والحبوب كالقطن والسمسم والارزّ ، فصار ارتفاعها أكثر مما كانت عليه وزادت ربوعها ، فسلمها الى من بقي من أهلها ولم يمكنهم النهوض عنها ، وآثروا فطرة الاسلام ومحبة المنشأ حيث قضوا أيام الشباب ، على مقاسمة النصف من غلاتها على أي نوع كانت ، وعلى أن يقدر الدخل ويقوّمه عيناً ان شاء أو ورقاً(٢) ، ويعطي الجواب لمن وجب له حق المقاسمة ، فيكون دون الخمس ـ فلم يزالوا على ذلك معه الى أن ألحقه الله بسلفه ومع ولده الغضنفر الى أن لحقا

---

(١) متهدمة (٢) الورق بكسر الواو الدراهم المضروبة

بأسلافهما « فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين ».

وأهلها مع ولده في وقتنا هذا على أقبح ما كانوا عليه مع والده ، من تقدير يستغرق أكثر الغلّة ، وتقويم ما يبقى من سهم المزارع بثمن يرونه ، ويُحمل الى مخازنهم واهرآئهم إصابته ، فيقبض منه ما يحتاج لبذره ويرضخ له ما يقدّره متمسكاً لرمقه وعيشه بالجهد .

وأعمال نصيبين أربع قسم لها أزمة من العمّال . وحضرتها في سنة ٣٥٨ ( ٩٦٨ م ) وقد رُفع تقديرها عن [illegible] لأبي تغلب بن عبد الله بن حمدان . فكان حاصلها من حنطة وشعير وأرزّ وحبوب : عشرة آلاف كرّ (١) ، فأخرج تقويم أسعارها على خمس مائة درهم الكرّ ، فكان المال خمسين ألف ألف درهم ؛ ورُفع لها عن الجماجم عن جواليها (٢) ولوازمها مع الزيادات فيها خمسة آلاف دينار . ورفع لها عن عشور اللّطَف (٣) وهي ضرائب الخمر خمسة آلاف دينار . وارتفاع عرصات القوانين المأخوذة عن الغنم والبقر والدواب والبقول خمسة آلاف دينار . ورُفع ما يقبض من الطواحين في القصبة والضياع المقبوضة والمشتراة وغلات العقار والمسقّف من الحمامات والدكاكين سبعة عشر ألف دينار .

وقال أيضاً ص ١٤٩

ورأس عين مدينة ذات سور من حجر . وكان داخل سورهم من

(١) الكرّ : بالضم مكيال للعراق . وستة اوقار حمار وهو ستون قفيزاً ، وقيل اربعون اردباً (٢) الجزية التي تؤخذ من اهل الذمة

(٣) اللطف بفتح اللام والطاء : اليسير من الطعام وغيره .

المزارع والبساتين والطواحين ، ما كان يقوتهم لو لا ما أتى عليهم من الجور الغالب والبلآء الفادح ، الذي كان من جهة بني حمدان . وكانت مدينة يسكنها العرب ولهم بها خطط ... وفيها غير عين لا يعرف لها قرار ، وغير بئر (١) عليها شباك من حديد يقال لها خسيف . وقد جُعل الشباك دون وجه الماء بذراع ونحوه ، ليحفظ ما يسقط فيها ـ

ويقال انهم اعتبروا غير بئر ثمانين ذراعاً بحبال فلم يبلغوا قعرها ... وكان عليه ( على الخابور ) لأهل رأس عين نحو عشرين فرسخاً قرى ومزارع ، وكان لهم غير رُستاق(٢) وناحية(١) ، كثيرة الضياع والاشجار وكروم على هذه المياه المذكورة . وكان لها أيضاً مباخس(٣) وأعذآء(٤) في مزارعها وضياعها ـ فلم يبق بها إلاّ صُبابة(٥) في نفس القصبة . على رِقْبة(٦) من الروم والعرب قد لجؤوا الى بعض دورها وجعلوها حصناً يأوون اليه عند خوفهم .

وقال في ص ١٥٥

وبالجزيرة براري ومفاوز وسباخ بعيدة الاقطار ، تنتجع لامتيار

---

(١) غير عين وغير بئر وغير رستاق : يعني اكثر من عين وبئر ورستاق .

(٢) الرستاق بضم الراء : السواد والقرى معرب .

(٣) البخس من الزرع : ما يزرع بماء السماء .

(٤) العذي : بكسر العين : الزرع لا يسقيه إلا المطر : والجمع اعذاء

(٥) الصبابة بضم الصاد : البقية من الماء واللبن في الاناء .

(٦) الرقبة : بكسر الراء واسكان القاف : الحراسة والتحفظ .

الملح والاشنان والقلى ... ودخل عليهم في هذا الزمان من بطون قيس عيلان الكثير من بني قُشير وعُقيل ، وبني نُمير وبني كلاب ، فأزاجوهم عن بعض ديارهم بل جلّها ، وملكوا غير بلد واقليم منها ـ كحرّان وجسر منبج والخابور والخانوقة وعرابان وقرقيسيا والرحبة .

وقال ص ١٥٣

وديار مُضَر فهي من هذه الجزيرة قائمة بحدودها ... الرقة والرافقة كل واحدة بائنة من الاخرى باذرع كثيرة . وكان لها أعمال وعمارة وأشجار ومياه ورساتيق وكُوَر . وقلّ حظها من كل حال وضعفت بما حمّلها سيف الدولة أخو ناصر الدولة تجاوز الله عنه ، من الكُلَف والنوائب وصادر أهلها مرة بعد أخرى . وكانت خصبة رخيصة الاسعار حسنة الاسواق(١) .

---

(١) اعلم ان أبا القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي الرحالة التاجر توفي نحو سنة ٣٨٠ ﻫ ( ٩٩٠ م ) فالاخبار التي أوردها عن مظالم الامراء بني حمدان كان لها شاهد عيان ، غير أن أحد الخبراء علق عليهـا أخبار البلاد في سني ٥٣٤ و ٥٦٠ و ٥٧٩ ﻫ الموافقة لسنوات ١١٣٩ و ١١٦٤ و ١١٨٣ م كما ورد في الاصل في اخبار بعض البلاد التي لا نعدها اليوم من جملة بلاد الجزيرة ـ

وأما بنو حمدان فهم أمراء دويلة أسسها القائد ابو الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون بن الحارث التغلبي ، من أمراء الخليفة المعتضد العباسي الذي ولاّه الخليفة المكتفي اعمال الموصل ومات سنة ٣١٧ ﻫ ٩٢٩ م وخلفه ابنه حسن المسمى ناصر الدولة الذي مات سنة ٣٥٨ ﻫ ٩٦٩ م واشتهر أخوه الامير سيف الدولة علي الذي استولى على حلب وبعض بلاد الاناضول ومات سنة ٣٥٦ ﻫ ( ٩٦٧ م ) وخلفه ابنه عضد الدولة ثم ابنه أبو الفضائل ، ودامت هذه الدويلة نحواً من ستين سنة .

فمن هذه المقالة التاريخية الجغرافية الموثوق بها نرى :

ان بلاد الجزيرة كانت خصبة تكتنفها الزروع وتملأها الغلات وتزينها البساتين والرياض ، وتحيط بها المواشي ، مأهولةً عامرة وذلك قبيل أواسط العصر الأموي .

فضايقها عبد الملك بن مروان منذ سنة ٦٩٢ م حين أمر بالتعديل في سائر البلاد ، وتابعه ابنه الوليد الاول ، حتى ابتلاها أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني ، المعروف بدهائه وشحه ، بالمظالم إشباعاً لمطامعه — وهذه الحقائق التاريخية أغفلها المؤرخ أبو جعفر الطبري وغيره من المؤرخين العرب .

ومع ذلك فلم تزل الجزيرة في عمران وازدهار في المئتين التاسعة ونصف العاشرة للميلاد ، والثالثة والرابعة للهجرة ، حتى انها حملت فواكهها الى العراق والشام ، وكان يرتفع منها قطن كثير .

وحينئذ أبتليت بالامراء بني حمدان الذي نكبوها بالمظالم مثاما حكى ابن حوقل ومن علق على كتابه ، فهاجر منها بنو حبيب في خلق كثير ممن كوتهم مظالم بني حمدان الى بلاد الروم ، وطفقوا يهاجمون تلك البلاد وغيرها ويتناولونها بالنهب والسلب حتى كادت تمسى قاعاً صفصفاً ، يدفعهم الى ذلك الحقد والثأر .

ثم نزل بها من بطون العرب بنو قشير وبنو عقيل وبنو نمير وبنو كلاب ، فغصبوا كثيراً من أهلها ديارهم وملكوا عدة بلاد .

ولو وجد المظلومون من أهلها بنو حبيب وغيرهم ملاذاً لدى الخلفاء ، لما انتهى بهم الامر الى اليأس والالتجاء الى الروم . ذلك ان الخلافة العباسية كانت عصرئذ قد ضعفت وغُلبت على أمرها ، وأمسى سلطانها اسماً بلا مسمّى حاشا العاصمة وما دنا منها ، فتنكرت معالم عمران الجزيرة ، وأخذ الشؤم يحلّ فيها والفقر يخيّم عليها .

ويقنعك أن ياقوت الحموي الذي كتب في الربع الاول من المئة السابعة للهجرة والثالثة عشرة للميلاد ، سمّى مدنها العامرة قرى .

والذي يتبادر الى ظننا أن الدهر أخنى عليها في أواخر هذه المئة وأوائل المئة التالية . فاستبدلت من مواطنيها وثرآئها وازدهارها الزراعي ، بشراذم من أعراب البادية يرعون فيها الاغنام — حتى آذن الزمان باستئناف عمرانها في أول العقد الثالث من القرن العشرين ، لينعم الله سبحانه بخيورها في أراضي استراحت عدة قرون ، على الجمهورية السورية التي نؤمل من حكومتها أن تبذل لها من عنايتها سهماً وفياً ، تقديراً لفضلها ومنافعها ، وليس هذا على همّتها بعزيز .

حمص في ٢٤ كانون الثاني ١٩٥٥ م

# مزارع الجزيرة

مقالة ألّفها

مار اغناطيوس افرام الاول برصوم

بطريرك انطاكية وسائر المشرق

حمص — المطبعة الحديثة

١٩٥٥